المحاضرة

الثامنة والعشرون

لفضيلة

الشيخ سليمان المدني

الكلام في الالفة والمحبة

قال سبحانه وتعالى : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبهم) وقال سبحانه وتعالى في معرض الامتنان على المسلمين (فاصبحتم بنعمته اخوانا) ونهى سبحانه وتعالى عن التفرق فقال (ولا تفرقوا) وقال ايضا (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) (ولا تكونوا كالذين اتخذوا دينهم شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) . وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أقربكم مجلسا مني يوم القيامة أشدكم ألفة) وقال (ص) : اذا التقى المؤمنان كان أفضلهما أحبهما لصاحبه) وقال (ص) : (المؤمن ألف يؤلف كالجمل ان قيد إنقاد وان استنيخ على صخرة استناخ) وقال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه (أعجز الناس من عجز عن كسب الاخوان ، وأعجز منه من عجز عن المحافظة على من اكتسبه منهم) . وعن الباقر عليه السلام انه قال ان كان قلبك يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصية الله ففيك خير والله وان كان قلبك لا يحب أهل طاعة الله ولا يبغض أهل معصية الله فليس فيك خير والله يبغضك) .

وعن النبي (ص) انه قال (قال الله تعالى : حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتعاونون من أجلي) وعنه ﷺ انه قال (من أحب في الله رفع الله له درجة في الجنة لا ينالها بعمله) .

فالمحبة والالفة بين المؤمنين مطلوبة من الله سبحانه وتعالى بل هي من المقاصد الأساسية في الدين والفرقة والتباعد والتهاجر هي من الأمور الممنوعة في الدين ومبغوضة من الله سبحانه وتعالى .

ولقد ورد في الحديث عن الرسول ﷺ (لا يحل للمؤمن ان يهجر أخاه أكثر من ثلاث ليال) ومعنى ان يهجر أخاه ، أي اذا صار بينهما ما يوجب سوء التفاهم بحيث ذهب كل واحد منهما مغضبا عن صاحبه لا يحل لهما هذا الابتعاد اكثر من ثلاث ليال ، بل ان المؤمن حقيقة هو من لم يبت وفي قلبه مقدار جناح بعوضة على صاحبه . وفي الرواية عن احد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم ، ان الاخوين اذا اختلفا فأيهما سبق الى صاحبه في الاعتذار سبقه الى الجنة . ولذلك امر الرسول (ص) أمته بافشاء السلام والمصافحة ، وصار السلام مستحبا والرد واجبا ولكن ثواب هذا المستحب أعظم من ثواب الواجب ، أي ان الابتداء بالسلام وان كان مستحبا الا ان ثوابه وفضله أكثر من فضل الرد على ذلك السلام واكثر ثوابا .. وكذلك استُحِبّت المصافحة بين المؤمنين حتى أمر بها الرسول (ص) وكذلك المعانقة ، وفي حديث عنه (ص) ما معناه : اذا التقيتم فتعانقوا ، فان هذا أمر أكرم الله به الملائكة فكونوا مثلهم .

وقال الرسول (ص) أيضا (الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) .

وحقيقة الالفة والمحبة وان كانا أمرا غامضا لأنهما من دفائن القلوب لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى ، الا انه لا بد من الكلام عنه من باب توضيح ما يمكن توضيحه .

فنقول ان الحب والالفة يكون على أقسام أربعة منها ما هو للدنيا فقط ، ومنها ما هو للآخرة فقط ، ومنها ما هو للدنيا والآخرة ومنها ما هو خالص لله سبحانه وتعالى .. أما ما يكون للدنيا فهذا أيضا أنواع كثيرة فقد يكون لذات المحبوب وقد لا يكون لذات المحبوب وانما للتوصل بهذا الأمر الى شيء محبوب .. مثال ذلك ان يحب الانسان إمرئا ما لحسن خلقه وغزارة علمه مثلا وحسن سلوكه وأفعاله ، ولا شك ان هذه الأمور لها حسن ذاتي فاذا أدركها أحب هذه الخصال والملكات فألف صاحبها ، لذات صاحبها ، وليس للتوصل الى شيء آخر .. وقد يكون لجمال الصورة وحسن الصوت ، فهذا ايضا فيه ناحية جمالية اذا أدركها عقل الانسان أحبها ، فان كان هذا الحب لا للتوصل الى شهوة فهو مباح ، وان كان للتوصل الى شهوة فهو حرام ، وتارة يكون الشيء غير محبوب لذاته وانما هو محبوب من أجل غرض آخر ، كما يحب الناس المال من الذهب والفضة والخيل والأملاك والعقار وغير ذلك ، ليس لأن هذه الأمور مقصودة لذاتها ولكن للتوصل بها الى غاية أخرى هي قضاء المآرب وقضاء الحاجات والتقوي بها ، فاذن هذه الورقة النقدية أو هذه القطعة الذهبية أو الفضية في حد ذاتها ليست محبوبة وليس فيها ما يستدعي أن تحب أو ان تبغى ، ولكن لما كان يتوصل بها الى قضاء الحاجات وتحقيق المآرب صار البشر يحبونها ، وكذلك من أحب أستاذه أو غيره لأنه يعلمه العلم ويحسن له الأفعال الحسنة فهو يريد ان يكتسب بها فضلا في الدنيا وثوابا في الآخرة ، الأستاذ في حقيقة ذاته لا علاقة له بالطالب ، لو لم تحصل هناك قضية الاستفادة ، أي تحصيل أمر متوقف على حب هذا ، فيكون محبوبا لأنه يوصل الى الغرض ، وكذلك الأستاذ مثلا في حبه لطلابه أو لأحد تلامذته ، قد لا يكون محبا له لذاته ، وانما لأنه مثلا يريد ان يكون معلما حتى يحصل على ثواب وعلى درجات عالية في السماء مثلا ، يقول النبي عيسى عليه السلام (من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء) فاذا أحب المعلم تلاميذه من أجل انه الوسيلة الى ذلك فطبيعة الحال يكون حبه للتلاميذ أو الطلاب ليس مقصودا بذاته ، وانما باعتباره وسيلة توصل الى غاية .

هذا هو النوع الثاني من الحب ، منه ما يكون حراما ومنه ما يكون مباحا ومنها ما يكون مطلوبا في الشرع ، وينقسم الى هذه الأقسام بسبب انقسام الغايات ، فان كانت الغاية التي يتوخاها من الغايات المحرمة فلا شك ان حبه للوسيلة الموصلة الى المحرّم محرّم عليه ، وان كانت الغاية مباحة فلا اشكال ان حبه للوسيلة الموصلة الى الغاية المباحة مباح ، وان كان ذلك من الأمور الاخروية الفاضلة والمطلوبة شرعا كان ايضا حب الوسيلة تابعا له .

الالفة والمحبة بين المؤمنين مطلوبة من الله وهي من المقاصد الاساسية في الدين

الحب والالفة أربعة أقسام منها ما هو للدين فقط ومنها ما هو للآخرة فقط ومنها ما هو للدنيا والآخرة ومنها ما هو خالص لله

أما الحب لله سبحانه وتعالى ، أو الحب في الله ، ـ وهذا هو التعبير الصحيح ـ فالعبد يحب كل شيء يقربه الى الله ، ويكره كل شيء يبعده عن الله ، ومن أجل ذلك فهو يحب أولياء الله ومن أجل ذلك يبغض أعداء الله ، وهذا لا ينحصر في شيء محدد . حب الانسان لمن يخدمه لأنه يقربه بهذه الخدمة لعبادة الله هو حب في الله ، حبه لمن يعلمه العبادات حتى يحسنها على وجهها ويوقعها وينال رضى الله سبحانه وتعالى ، هو حب في الله ،

المؤمن هو من لم يبت وفي قلبه مقدار جناح بعوضة على صاحبه

حبه لأهل بيته ، لزوجته لأمه لاخوانه ، باعتبارهم مؤمنين وباعتبارهم ايضا يقيمونه على طاعة الله سبحانه وتعالى يكون حبا في الله ، وكذلك اذا كان يبغض من يعصي الله سبحانه وتعالى لا يبغضه شخصيا ، ولا يبغضه باعتبار انه زيد أو انه ابن زيد أو أخو زيد ، ولكن يبغض منه العمل الفلاني ، وهو ينفر منه لاصراره مثلا على الكفر بالله أو ينفر منه لاصراره على معصية الله ، هذا يكون بغضا في الله ، ولا شك ان هذا هو أعلى درجات الحب وأعلى درجات البغض ، لأن المقصد من وراء هذا الحب ومن وراء هذا البغض هو الله سبحانه وتعالى ، الذى هو أعلى المقاصد للمؤمن ، وهو أسهل المقاصد للمؤمن ، فيكون هذا الحب وهذه الالفة هي أعلى درجات الحب ، ولذلك يفوز بدرجة في الجنة لا ينالها بعمل من أعماله ، فان انحصار حبه في الله وانحصار بغضه في الله دليل على عمق ايمانه وشدة محبته لله ..

وحيث اننا قد تعرضنا الى معنى الالفة والنفرة فلا بد من بيان أمور :

ان النفرة من المخالفين في الدين أو من أهل المعاصي أو غيرهم لا تستدعى سوء الخُلُق ، فالأئمة صلوات الله وسلامه عليهم الزموا حسب أصول مذهبهم ان حسن الخلق مطلوب مع البر والفاجر وان من لا خلق له لا ايمان له ، والنبي (ص) يقول (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فلين الجانب من جهة مع اظهار النفرة والاشمئزاز من عمل هذا العاصي من جهة أخرى بحيث تشعره انه لا علاقة لبغضك لشخصه وانما بغضك منصب الى عمله ، فأنت تعينه متى احتاج الى المعونة باعتباره لا يزال مؤمنا بالله سبحانه وتعالى ، وتحاول تقويمه بنصحه ، حتى يعرف ويشعر انك لا تبغضه بغضا لذاته وانما أنت تنفر من سلوكه المجافي للطبيعة بدون شك لا يجعل في قلبه موئدة عليك وبالتالي لا يجعله ينفر منك باعتبارك مؤمنا أو ينسد الباب عليك من أجل هدايته واصلاحه ، فحسن الخلق وأداء الأمانة الى البر والفاجر مطلوب . وليس معنى الحب في الله والبغض في الله اظهار سوء الخلق الى الناس ، ليس كذلك ولكن المؤمن هيّن ليّن ، أي انه يألف الناس ويألفه الناس والا فانه لا يتمكن من هداية الناس واصلاحهم ودعوتهم .

على انه ينبغي الا يجعل في قلبه أدنى ذرة من حب سلوكهم الخاطيء ، انما يكون قلبه متعلقا بالله حتى لينه معهم وحسن خلقه معهم ينبغي ان ينوي به أو يقصد به التقرب الى الله ، فاذا فعل ذلك لا شك انه يستطيع كسب الأصدقاء من جهة والمحافظة على من اكتسبهم من جهة أخرى فلا يكون من أعجز الناس والذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام ، وأيضا يكون قد حصل على الثواب على هذا الحب وهذا البغض ، لأنه يحب أهل محبة الله ويبغض أهل معصية الله ، ولذلك لو أحب العاصي أو الظالم أو غيره لا باعتباره العاصي أو الظالم ولكن باعتباره زيد الذى يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر لم يكن مأثوما على هذا الحب ، ولكن لو أحبه باعتبار عمله للمعصية أو الظلم فلا شك انه شريك له ، ولذلك قال الرسول (ص) : من أحب عمل قوم حُشِرَ معهم) ، فالانسان مع ما أحب ، ولم يقل من أحب قوما حشر معهم .. لأن هذا الانسان الذى يؤمن بالعقائد الصحيحة مثلا لكنه فاسق الجوارح ، يعصي الله سبحانه وتعالى ، أنا أحبه لهذا الايمان وأنا أكره منه هذه الأفعال المخالفة لله ، أحبه لهذا الايمان معناه أحبه لله ، أكره منه هذه الأفعال يعنى لله سبحانه وتعالى ، هل يعقل مثلا ان أحشر معه ؟! فلذلك لم يقل النبي ﷺ من أحب قوما حشر معهم ، ولم يقل الانسان مع من أحب ، لأن (مَنْ) تدل على العاقل ، فيكون مع المحبوب باعتبار ان الحب هنا أو البغض هنا بالنسبة للعمل لأنه لا علاقة لك بزيد أو عمرو الا من قبل الله ، اذا كنت تريد ان تحب في الله وان تبغض في الله ، وما يتعلق بالله هو العمل سواء كان العمل القلبي وهو الايمان أو العمل الخارجي الذى هو السلوك والأفعال ، فالحب له باعتبار هذا العمل لا يتنافى والبغض له باعتبار هذا العمل ، ولذلك انما يحشر مع ما أحب ، أي مع العمل الذى أحبه ، ومن أحب عمل قوم شركهم في عملهم . ومن أحب عمل قوم حُشِرَ معهم .